NANA JUMHANA

NASY'AT AL-MA'AJIM AL-LUGHAWIYYAH AL-'ARABIYYAH WA TATHAWWURUHA

Abstrak:

Penyusunan kamus bahasa Arab dalam bentuk yang dikenal sekarang baru dilakukan para ulama pada masa Daulah Abbasiyyah. Sebelumnya, syair-syair merupakan rujukan primer bagi bangsa Arab untuk mendapatkan penjelasan kosa kata yang belum mereka fahami maknanya.

Seiring dengan berkembangnya Islam dan munculnya proses kodifikasi dalam berbagai disiplin ilmu dan adanya kebutuhan kaum muslimin terhadap penafsiran ayat-ayat Al-qur'an serta kesadaran akan pentingnya menjaga kemurnian bahasa Arab, maka munculah dikalangan para ulama berbagai studi mengenai bahasa Arab, termasuk didalamnya usaha-usaha untuk mengumpulkan materi (kosa kata) bahasa dan menyusunnya secara sistematis dalam bentuk mu'jam atau kamus.

Dalam perkembangannya, terdapat beberapa pendekatan (madrasah) yang ditempuh para ulama dalam membuat sistematika penyusunan kamus bahasa Arab. Diantaranya adalah penyusunan kamus dengan pendekatan susunan Makharijul huruf (Madrasah al-Tartib al-Makhrajiy), pendekatan susunan huruf Hijaiyah biasa (Madrasah al-Tartib al-Hija'iy al 'adiy), pendekatan susunan huruf akhir setiap kosa kata (madrasah Nidzam al-Qafiyah) dan pendekatan susunan awal kata dasar setiap kata (madrasah at-Tartib al-Alifbaiy Hasaba awail al-Ushul).

Tulisan ini ingin mendeskripsikan munculnya kamus bahasa Arab dan perkembangannya serta pendekatan-pendekatan dalam sistematika penyusunannya.

Kata Kunci : *Mu'jam, Jam'ul Lughah, Madrasah, Nidzam*

المقدّمة

تمر اللغة عادة بمرحلة النطق قبل مرحلة التدوين، أي أنها تكون في بادئ أمرها دائرة على ألسنة المتكلمين بها، لا مسجلة في بطون الكتب، وكم من لغة نشأت وترعرعت ثم اندثرت قبل أن يعرف الإنسان الكتابة.

والأصل أن تكون اللغة مفهومة من الناطقين بها، ولكنها باعتبارها أداة للفكر والسبيل إليه، تتطور بتطور الفكر نفسه، فالإنسان لا يستطيع أن يحفظ كل الثروة اللغوية القومية مهما أوتي من حدة الذكاء وقوة الذاكرة وسعة الخيال، لذلك يصطدم أحيانا بكلمات لا يعرف معناه بدقة ووضوح. من هنا ظهرت أهمية المعجم كمرجع للباحث عن معاني الألفاظ التي غمضت عليه.

ويبدو أن البحث اللغوي عند العرب قد بدأ في شكل جمع المادة اللغوية، أو ما يعرف بمتن اللغة، وأن يسبق ذلك الدرس النحوي. وقد تم هذا الجمع أولا بطريقة المشافهة والحفظ، ودون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها. وبعد ذلك اتجه أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقسيم ورد النظير إلى النظير، كل بطريقته الخاصة التي رآها. فمنهم من صنف المادة اللغوية بحسب الموضوعات وأخرجها في شكل رسائل منفصلة. ومنهم من اتجه إلى الشعر الجاهلي أو الإسلامي يدوّنه ويشرح مفرداته الصعبة. ومنهم من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها في بعض القبائل..... وهكذا. وتوجت هذه الجهود بظهور المعاجم اللغوية المنظمة التي كان رائدها الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥هـ) وذلك بوضعه معجم "العين".

حاولت هذه المقالة أن تصل إلى ما تهدف إليه من تصوير نشأة المعاجم اللغوية العربية وتطورها ومدارسها، مع وصف موجز لبعض المعاجم التي تمثلها.

معنى كلمة "معجم" لغة واصطلاحا

تفيد مادة "عجم" في اللغة معنى الإبهام والغموض. قد جاء في لسان العرب "الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه" وفيه أيضا "رجل أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة" وكذلك "سميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم"[1] وبلاد العجم سماها العرب بذلك لأن لغتها غير واضحة ولا مفهومة لهم. ويقول ابن جنى

-كمـــا نقله حسين نصار- "اعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان و الإفصاح".[٢]

بالـــنظر إلى العرض السابق يتضح أن المعاني التي أوردها لسان العرب لا تســـاير المقصـــود من المعجم، إذ تدور حول "الإبهام" و "الإخفاء" بينما يستعمل الناس المعاجم لإزالة غموض الكلمات والعبارات ووضوح مدلولاتها.

ظهـــر لـــنا أن وزن "أفعل" يأتي في غالب أمره للإثبات والإيجاب إذا قيل "أكـــرم الطالب الأستاذ" يعني أنه أوجب لها المحبة، ولكن هذا الوزن قد يأتي أيضا بمعنى السلب والنفي،[٣] أي أنّ همزة أفعل قد تقلب معنى "فعل" أحيانا إلى ضده، نحو "أشـــكلت الكـــتاب" أي "أزلـــت إشكاله" و "أشكيت زيدا" أي أزلت شكواه. فكذلك أيضا "أعجمت الكتاب" أي أزلت عنه عجمته.

ومن هذه الدلالة جاء لفظ "معجم" بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة مـــا ويشرحها ويوضح معناها و يرتبها بشكل معين. ويكون تسمية هذا النوع من الكتاب "معجما" إما لأنه مرتّب على حروف المعجم (الحروف الهجائية). وإما لأنه قد أزيل أيّ إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض وإبهام.

وقـــد فهم من هذا أن لفظ "معجم" من الناحية الصرفية اسم مفعول من الفعـــل "أعجـــم" ويحـــتمل أن يكون مصدرا ميميّا من نفس الفعل ويكون معناه الإعجام أي إزالة العجمة والغموض.

وأما المعجم من حيث المعنى الاصطلاحي فهو "كتاب يضم أكبر عدد من مفـــردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصـــا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كـــلمة في اللغـــة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها.[٤]

أول من استخدم لفظ "معجم".

كذا وكذا. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".[١٣]

وكان الدافع أو الباعث الأساسي الذي دفع اللغويين إلى وضع معاجمهم هو بعينه الباعث الذي دفع إلى إظهار الدراسات اللغوية عند العرب، وهو خدمة القرآن ونصوص التشريع وصون اللغة من الخطأ وحفظها من الضياع،[١٤] ويؤكد هذا الرأي ثلاثة أمور: أولها ما روي عن استفسار العرب عن معاني بعض ألفاظ القرآن، وثانيها كثرة الكتب التي ألفت في أوائل مرحلة التدوين في موضوع غريب القرآن، وأوّل من كتب هذا الموضوع عبد الله بن عباس ثم تتالت بعده الكتب التي سلكت مسلكه. وثالثها أن العلوم العربية الأولى من تفسير وفقه وبلاغة ونحو وقراءة وغيرها إنما نشأت في بادئ أمرها لحفظ القرآن وتفسيره.[١٥] وكذلك أكّد هذا الرأي قول ابن خلدون حيث قال: "فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين".[١٦]

وأيا يكن الدوافع إلى جمع اللغة وتأليف المعجم، فإن اللغويين العرب اعتمدوا في هذا الجمع أساسين، واحدا زمانيا وآخر مكانيا. وعلى الأول حصروا التدوين في أدب الجاهلية وصدر الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا، وعلى الثاني جعلوا المدوّن في البدو دون الحضر وسكان أطراف الجزيرة. فخصوا التدوين في قبائل قيس عيلان، وتميم وأسد وهذيل وقريش وبعض كنانة وبعض الطائيين. ومنعوا الأخذ عن لخم وجذام جيران مصر والقبط، وقضاعة وغسان وإياد جيران أهل الشام، أكثرهم نصارى يقرءون بالعبرية، وتغلب لمجاورتهم اليونانيين، وبكر جيران النبط والفرس، وأهل اليمن لمخالطهم الهند والحبشة.[١٧]

نشأة المعجم العربي

من الطبيعي أن نشأت عملية جمع اللغة أو الدراسات اللغوية ضعيفة، لا تستطيع أن تعتمد على نفسها، أو تنفرد بوجودها. ثم أخذ المهتمون بها يغذونها بأقوالهم وأبحاثهم فقويت ونمت إلى أن استطاعت الوقوف على رجليها، فالاستقلال بنفسها، ثم بلغت مرحلة الفتوة والنضج. وفي هذه المرحلة الأخيرة ظهرت المعاجم، أما قبلها من مراحل فلم تر المعاجم وإنما على شكل رسائل لغوية صغيرة ذات اتجاهات مختلفة.[١٨]

قد ذهب أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام" إلى أن عملية جمع اللغة تسير في مراحل ثلاث وهي كما يلي:[١٩]

المرحلة الأولى : جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في اسم السيف وأخرى في الزرع والنبات، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك، فيدوّن ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلاّ ترتيب السماع.

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد. والذي دعا إلى هذا في اللغة – على ما يظهر– أنهم رأوا الكلمات متقاربة المعنى، فأرادوا تحديد معانيها فدعاهم ذلك إلى جمعها في الموضوع الواحد. فألف أبو زيد كتابا في المطر، وكتابا في اللبن، وألف الأصمعي كتبا كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع.

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة.

بالـــنظر إلى العرض السابق عن مراحل تأليف المعاجم ظهر لنا أنه تميزت المرحلة الأولى منها بالتأليف المختلط، وتميزت المرحلة الثانية بالتأليف المستعملة على

الموضوعات. أما المرحلة الثالثة فكانت مرحلة جمع مواد اللغة وحصرها في كتب اصطلح على تسميتها بعدئذ بالمعاجم.

قد أجمع الباحثون أن أوّل من ألّف معجما شاملا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) واضع معجم "العين".[٢٠] وتتابع بعده تأليف المعاجم إلى العصر الحاضر. ولعل أهمها هي المعاجم التالية : "الجمهرة" لابن دريد (ت. ٢٣١ هـ) "البارع" لابن على القالي (ت. ٣٥٦ هـ)، و "التهذيب" ألفه أبو منصور الأزهري (ت. ٣٧٠ هـ)، و "المحيط" للصاحب بن عباد (ت. ٣٨٠ هـ)، و "مقاييس اللغة" و "المجمل" لابن فارس (ت. ٣٩٥ هـ)، و "الصحاح" للجوهري (ت. ٤٠٠ هـ)، و "المحكم" و "المخصص" لابن سيدة الأندلسي (ت. ٤٨٠ هـ)، و "أساس البلاغة" للزمخشري (ت. ٥٣٨ هـ)،و "العباب" للصغاني (ت. ٦٥٠ هـ)، و "لسان العرب" لابن منظور (ت. ٧١١ هـ)، و "القاموس المحيط" للفيروزأبادي (ت. ٨١٧ هـ)، و"تاج العروش" للزبيدي (ت. ١٢٠٥ هـ) و "المحيط" و "قطر المحيط" لبطرس البستاني (١٦٨٣ هـ) و "أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد" لسعيد الشرطوني (ت. ١٩٠٧ م) و "المنجد" للأب لويس المعلوف سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٧ م)، وصدر "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية في القاهرة.[٢١] سنة ١٩٦٠ م.

مدارس المعاجم العربية

انقسمت المعاجم العربية الكبيرة إلى مدارس بحسب منهج كل منها في تقسيماتها وفي طرق تبويبها وترتيبها، ولعل أهم هذه المدارس هي: (أ) مدرسة الترتيب المخرجي (ب) مدرسة الترتيب الهجائي العادي (ج) مدرسة الترتيب بحسب القافية (نظام القافية) (د) مدرسة الترتيب الألفبائي (الهجائي) حسب أوائل الأصول. وفيما يلي شرح موجز لكل منها مع عرض بعض سمات المعاجم التي تتبع لكل مدرسة من المدارس السابقة.

أ. مدرسة الترتيب المخرجي

كان رائد هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥ هـ) الذي اشتهر بمعجمه "العين" الذي يعد أوّل معجم من أي نوع عرفته اللغة العربية.

فمن خصائص هذه المدرسة أن تجمع وترتب موادها بحسب مخارج الحروف وجعل هذا الترتيب أساس تقسيمها إلى كتب، ثم تقسيم هذه الكتب إلى أبواب تبعا للأبنية، ثم ملء هذه الأبواب بالتقاليب والتزمت جميعها ترتيب كتاب "العين" للمخارج إلا معجم "البارع" الذي سار على ترتيب سيبويه مع خلطه بأشياء من ترتيب كتاب "العين".[22]

ويندرج تحت هذه المدرسة معجم "العين" للخليل، و "البارع" للقالي، و"التهذيب" للأزهري، و "المحكم" لابن سيدة، و "المحيط" للصاحب بن عباد.[23] وفيما يلي وصف موجز للمعاجم الثلاثة الأوائل التي اعتبرها الكاتب أهم المعاجم لهذه المدرسة.

١- معجم "العين" للخليل بن أحمد

ألف هذا الكتاب الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥ هـ)، ولد في عمان لكنه نشأ وتعلم وعلم بالبصرة، فاشتهر بالبصري. ينتسب إلى فرهود من فبيلة الأزد، فعرف بالفراهيدي برز في العلوم اللسانية من نحو و لغة و شعر كما كان بارعا بالعلوم الرياضية و الشرعية والموسيقي. وكان معجمه "العين" هو أول معجم لغوي وصل إلينا.[24]

وأهم ما يميز هذا المعجم أن مؤلفه لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وتتبعها في مؤلفات السابقين، وجمعها من شفاه الرواة وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية. حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية وقد تكون ثلاثية و قد تكون رباعية وقد تكون خماسية. وفي كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها (بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه)

وأمكن تقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجما وضم جميع كلمات اللغة من الناحية الصرفية.[25]

أما الطريقة التي سار عليها خليل بن أحمد في تبويب كتابه وترتيبه فاتسم بما يلي:[26]

(١) رتب المواد حسب مخارجها وفق النظام التالي / ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ى ا.

(٢) نظم الكلمات تبعا لحروفها الأصلية (الجذور) دون مراعاة الأحرف الزائدة فيها، أو الأحرف المقلوبة عن أحرف أخرى، وهذا المبدأ ظل متبعا في المعاجم الأخرى التي سارت مسلك هذا المنهج كما سبق ذكرها.

(٣) اتبع نظام التقليبات الذي ابتدعه بنفسه. فعالج الكلمة و مقلوباتها في موضع واحد. فمثلا نجد الكلمات : ع ب د — ع دب — د ب ع — د ع ب — ب ع د — ب د ع ، كلها في مادة واحدة و تحت حرف العين (لأن العين أسبق من الباء والدال حسب ترتيبه المخرجي للحروف) بقطع النظر عما نطقت به (ويسميه مهملا).

(٤) أخضع تبويب الكلمات لنظام الكمية، أو لنظام الأبنية. فرتب كلمات كل باب حسب الترتيب التالي (أ) الثنائي (ب) الثلاثي الصحيح (ج) الثلاثي المعتل (د) اللفيف (ه) الرباعي (و) الخماسي.

٢- معجم "البارع" للقالي

في القرن الرابع ظهر في الأندلس معجمها الأول "البارع في اللغة" لإسماعيل بن القاسم القالي البغدادي،[27] لم يتصل إلينا نسخة كاملة من هذا المعجم إلا قطعتان مصورتان لا يشملان مقدمة الكتاب، لذلك فاتنا أن نعرف الغرض من وضعه إياه ونظرته إلى ما سبقه من معاجم.

من أهم سمات معجم "البارع" أن اتبع مؤلفه أبجدية الخليل الصوتية في ترتيبه بعد أن أدخل عليها تعديلا طفيفا.وكذلك اتبع نظام التقليبات الخليلي الذي يجمع الكلمات المكونة من حروف واحدة تحت نطاق واحد. وأخضع تبويب الكلمات بنظام الكمية كما فعل قبله الخليل مع بعض الاختلاف في التصنيف إذ جاءت الأبواب عنده ستة.[28]

اهتم القالي بضبط اللفظ مخافة تحريفه وكان ذلك للمرة الأولى في تاريخ المعاجم. وقد سلك ذلك طريقتين، أولهما تنص على ضبط الكلمة بالشكل وثانيهما تذكر وزن الكلمة.[29]

٣- معجم "تهذيب اللغة" للأزهري

كان مؤلف هذا المعجم أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (٢٨٢-٣٧٠ هـ / ٨٩٥-٩٨١ م) أحد أئمة اللغة و الأدب و الفقه. ولد و توفي في هراه بخراسان. ولعل من السبب الذي دفعه إلى تسمية كتابه بـــ "تهذيب اللغة" هو أنه يرمي في كتابه إلى تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقيه ومعاصريه.[30]

وكان معجم "تهذيب اللغة" يعد تابعا في منهجه "العين" أي نهج منهج الخليل في مراعاة الأبجدية الصوتية ونظام التقليبات تبعية كاملة، بل بلغ من اتخاذه نموذجا له أن نقل مقدمة العين في مقدمته نقلا يكاد يكون حرفيا،[31] ولكنه زاد عليه في بعض مواده بالإكثار من الروايات و النقل عن اللغويين.[32]

أما من ناحية المادة اللغوية فحجم هذا المعجم "التهذيب" ضخم جدا بالنسبة للعين. وقد أبدى الأزهري كذلك اهتماما كبيرا بأسماء البلدان والأماكن والمياه. واهتم بإيراد الشواهد من القرآن والحديث بالإضافة إلى الشعر كما عني بإيراد القراءات المختلفة في مكانها المناسب.[33]

ب. مدرسة الترتيب الهجائي العادي

أدخل حسين نصار هذه المدرسة ثلاثة معاجم وهي "الجمهرة" لابن دريد من القرن الثالث، و "المقاييس" و"المجمل" لابن فارس من القرن الرابع.[34] وأضاف إليها أحمد مختار عمر كتاب "الجيم" لأبي عمرو الشيباني، و "المنتهى في اللغة" للبرمكي، و"أساس البلاغة" للزمخشري و "المصباح المنير" للفيومي.[35]

وكان أوّل غرض لهذه المعاجم تجنب النظام الذي سارت عليه المدرسة السابقة، لأنّ فيه عسرا مشقة على القراء. فأهملت ترتيب الحروف على المخارج وتمسكت بالترتيب الألفبائي.[36] وفيما يلي شرح موجز لأهم معجم سلك هذا النظام وهو "الجمهرة" لابن دريد و"المقاييس" لابن فارس.

١- معجم "الجمهرة" لابن دريد.

كان مؤلف هذا المعجم هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المولود في البصرة (٢٢٣-٣٢١ هـ/٨٣٨-٩٣٣م). أحد أئمة اللغة والأدب. اشتهر بسعة الحفظ وقوة الذاكرة. له كتاب "الاشتقاق"، "المقصور والممدود"، و "المجتنى" و"تقويم اللسان" ومعجم "الجمهرة" وهو المعجم الثاني الذي وصل إلينا بعد معجم "العين" للخليل.[37]

سار ابن دريد في وضع معجمه على الترتيب الهجائي العادي، ورتب الكلمات بحسب أوائلها، ولكن عقد نظامه أن المؤلف اتبع المنهج الآتي:[38]

١- قسم أبنية الكلام إلى ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي وسداسي ولفيف. و لم يكتف بهذه القسمة السداسية فعقد الموضوع بتقسيمات فرعية.

٢- رتب الكلمات تحت كل باب على الترتيب الهجائي العادي. لأنه اعتبر الترتيب الصوتي مسلكا لا يقدر على السير فيه إلّا المتخصصون.

٣- اتبع نظام التقليبات كالخليل. ومعنى هذا أننا لا نجد الكلمات تحت حرفها الأول، وإنما تحت أسبق حروفها في الترتيب الهجائي مهما كان هذا الحرف. فالبحث عن معنى كلمة "قعود" مثلا يجب أن نجرد هذه الكلمة من

الحرف الزائد (الواو) ونبحث عنها في مادة "قعد" الموجودة في بناء الثلاثي السالم وفي باب الدال، وذلك لأنّ هذا الحرف أسبق من الحرفين الآخرين (القاف والعين) في الترتيب الهجائي.

٢- معجم "المقاييس" لابن فارس

كان مؤلف هذا المعجم هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٢٩ هـ -٣٥٩ هـ/٩٣١-١٠٠٤ م) أحد أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين، أقام مدة في همذان ثم انتقل إلى الراي فتوفي فيها. له مؤلفات عديدة منها معجم "المقاييس" ومعجم "المجمل" وكتاب "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها" و"الأتباع والمزاوجة".[39]

اتخذ ابن فارس أسسا تقرب من أسس ابن دريد في تقسيم كتابه وترتيبه مع بعض خلاف. فقد وافقه في الترتيب وفقا للألف باء،[40] فقد اتسم منهجه بأن قسم معجمه إلى كتب تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء. ثم قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب أوّلها باب الثنائي المضاعف وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية. ثم رتب مواد كل باب حسب النظام الألفبائي (الهجائي) العادي ووفقا لجذر الكلمة مع فارق منهم هو أنه في القسمين الأولين (باب الثنائي المضاعف، وباب الثلاثي الأصول) كان يؤلف الحرف مع ما يليه في الألفباء، لا مع الهمزة أولا ثم مع الباء فالتاء فالثاء...الخ. ففي كتاب الجيم مثلا لا يبدأ بتأليف حرف الجيم مع الهمزة ثم الباء.....الخ بل بتأليفه مع الحاء فالخاء إلى أن يصل إلى الياء فيعود إلى تأليفه مع الهمزة ثم مع الباء.....الخ. وهكذا نرى أن المواد التي ذكرها في كتاب الجيم، باب الثنائي المضاعف، هي على الترتيب التالي:جح-جخ-جد-جذ-جر-جز-جس-جش-جص-جظ-جع-جف-جل-جم-جن-جه-جو-جأ-جب-جث. وفي باب الجيم والراء من باب الثلاثي بالترتيب التالي: جرز-جرس-جرش-جرض-

جرع-جرف-جرل-جرم-جرن-جرة-جرو-جري-جرب-جرج-جرح-جرد-جرذ.[41]

ج. مدرسة الترتيب بحسب القافية (نظام القافية)

ضمت هذه المدرسة معاجم كبيرة هي "الصحّاح" للجوهري، و"العباب" اللصغاني، و"لسان العرب" لابن منظور و"القاموس المحيط" للفيروزالأبادي و"تاج العروش" للزبيدي. وقد اشتهرت هذه المعاجم ما لم تلقه مدرسة أخرى في تاريخ المعاجم العربية.[42]

وتشترك هذه المعاجم كلها في أساس التقسيم الذي لم يتغير و لم يتطور منذ أولها إلى أخرها. واعتمد هذا الأساس على تقسيم المعجم كله إلى أبواب وفقا للحرف الأخير من الكلمات أو الترتيب بحسب القافية وتقسيم كل باب إلى فصول وفقا للحرف الأول وترتيب المواد في هذه الفصول وفقا لحروفها الوسطى باعتبار الحروف الأصول وحدها في جميع هذه المراحل. وكذلك تشترك جميعا في أفراد باب واحد للكلمات التي أخرها الواو والياء ثم تقديم الواو على الهاء في الفصول حتى يمكن فصل اللفيف الذي وسطه الواو عن اللفيف اليائي الوسط.[43]

وتفترق فيما عدا ذلك إذ يلتزم "الصحاح" الألفاظ الصحيحة وحدها وتغلب عليه الصبغة النحوية الصرفية. وتغلب على "العباب" الصبغة الأدبية والعناية بالشواهد الشعرية. ويلتزم "القاموس" الاختصار والاستقصاء وتغلب عليه الصبغة الطبية ويكثر من الأعلام وخاصة أعلام المحدثين والأماكن والمصطلحات، ويغلب على "اللسان" و "التاج" الإسهاب والإطناب مع اقتصار الأوّل على المواد اللغوية تقريبا وانفساح رقعة الثاني إلى ما ضمه أصله القاموس وما زاده هو. فالتاج خليط من دوائر المعارف والمعاجم اللغوية.[44]

قد أجمع الباحثون على أن الجوهري صاحب "الصحاح" هو الرائد لهذه المدرسة.[45] لذلك سنبدأ شرحنا الموجز لبعض المعاجم في هذه المدرسة بالحديث

عن "الصحاح" فمعجم "لسان العرب" لابن منظور ثم نختم هذا الحديث بحديث عن "القاموس المحيط" للفيروزالأبادي. ونكتفي بهذه الثلاثة لعدم إمكاننا بدراسة جميعها.

١- معجم "الصحاح" للجوهري

كان الغرض الأول من تأليف المعاجم في القرن الرابع تحقيق أمرين أساسين هما: التزام الصحيح من الألفاظ، وتيسير البحث عن المواد. وذهب كل منها مذهبا خاصا ليحقق هذين الغرضين. وفي أواخر هذا القرن ظهر أشهر معجم عربي حققهما إلى درجة بعيدة. ذلك هو معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" لأبي نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري الذي اشتهر بالصحاح.[46]

سمى الجوهري معجم "الصحاح" لأنه ألزم نفسه بما صح عنده رواية ودراية وسماعا، مشافهة من أصحاب اللغة الأصلاء.[47] أما منهج الجوهري في معجمه فقد رتب الجوهري الكلمات حسب أصولها وفق النظام الألفبائي المعروف اليوم ماعدا حرفا واحدا هو الواو، إذ وضعه بين النون و الهاء ليتسنى له جمع الواو والياء في باب واحد، مع مراعاة آخر الجذر لا أوله كما فعله اللغويون اليوم. وتفصيل ذلك أن الجوهري جعل لكل حرف بابا خاصا به، كما قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا، مستعملا في الفصول كما في الأبواب الترتيب العادي المعروف اليوم، مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع من الكلمة. فباب العين مثلا، يشتمل على جميع الكلمات المنتهية بحرف العين مثلا: برع، جمع، صرع، صدع، نفع...الخ. مرتبة في فصول أوّلها الهمزة وثانيها الباء وثالثها التاء ورابعها الثاء...الخ.[48]

وهكذا في كل باب. بكلمة "أسد" مثلا نجدها في باب الدال فصل الهمزة وكلمة "مكتبة" في باب الباء فصل الكاف (لأنه رتب الكلمات حسب جذرها لا

حسب نطقها). ولا شك أن هذه الطريقة في الترتيب أسهل من التي اتبعت في ما سبقه من المعاجم.

٢- معجم "لسان العرب" لابن منظور

يعد "لسان العرب" من أكبر المعاجم العربية -إن لم يكن أكبرها- على الإطلاق وكان مؤلفه هو عبد الله محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري. وقد ولد ابن منظور سنة ٦٣٠ هـ، وتوفي عام ٧١١ هـ، وطبع معجمه مرتين حتى الآن أولهما في بولاق بمصر عام ١٣٠٠ هـ، وتقع في عشرين مجلدا، والثانية في لبنان وتقع في ٦٥ جزءا صغيرا.[49]

وليس هناك ما يميز معجم ابن منظور عن غيره من المعاجم في مدرسة نظام القافية سوى توسعه في الشرح وإفاضته في ذكر أسماء الرواة والعلماء واللغويين والنحويين وكثرة شواهده وتنوعها.[50]

وقد اعتمد ابن منظور أكثر ما اعتمد على مصادر خمسة هي تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيدة، والصحاح للجوهرى، والجمهرة لابن دريد والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.[51] وذكر في مقدمة كتابه أنه اتبع نظام القافية الذي ابتكره الجوهري لسهولة منهجه وبساطة ترتيبه.[52]

٣- معجم "القاموس المحيط" للفيروزأبادي

كان مؤلف هذا المعجم هو الإمام أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي الشيرازي اللغوي.[53] المولود بقرية كارزين قرب شيراز، وقد عرف باسم الفيروزأبادي نسبة إلى قرية فيروزأباد من قرى فارس ومنها والد وجده. وكان مولده عام ٧٢٩ هـ ووفاته عام ٨١٦ أو ٨١٧ هـ.[54]

أما المنهج الذي سلكه الفيروزأبادي فقد اتبع في ترتيب المواد نظام القافية الذي ابتكره الجوهري، ويظهر أن سبب هذا الاتباع هو إقبال الناس على

"الصحاح" كما يعترف بنفسه.[55] واهتم بالترتيب الداخلي للمواد ففصل معاني كل صيغة من زميلتها في الاشتقاق. وقدم الصيغ المجردة على المزيدة، وأخر الأعلام (لأنه من الممكن) الاستغناء عن ذكر الأعلام في المعاجم.[56]

يعد "القاموس المحيط" من أشهر المعاجم العربية، فقد أقبل عليه الناس يقتنونه. كما أقبل عليه اللغويون يدرسونه وحسبه شهرة أن اسمه أصبح اليوم مرادفا للمعجم، حتى أننا نرى أن المعاجم التي تحمل اسم "القاموس" أكثر عددا من المعاجم التي تحمل اسم "المعجم".

د. مدرسة الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول

ضمت هذه المدرسة المعاجم التي رتبت ترتيب الألفبائي حسب أوائل أصولها. هناك معاجم كثيرة أتبعت هذا الترتيب منها "محيط المحيط" لبطرس البستاني، و "المنجد" للويس المعلوف، و"المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية في القاهرة، و"أقرب الموارد" لسعيد الشرتوني و "متن اللغة" لأحمد رضا وغيرها.[57] ونكتفي بعرض من هذه المعاجم ما ظنه الكاتب أهمها وهو "محيط المحيط" و "المنجد" و "المعجم الوسيط".

١- معجم "محيط المحيط".

ألّفه بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني (١٨١٩-١٨٨٣ م) عالم واسع الاطلاع. ولد ونشأ في الدبية من قرى الشوف في لبنان. درس اللغات السريانيّة والإيطالية واللاتينية ثم العبريّة واليونانية. له "دائرة المعارف" و "تاريخ نابليون" و "المصباح" و معجم "محيط المحيط".[58]

رأي البستاني — وهو يعلق "القاموس المحيط" للفيروزأبادي- أن القاموس المحيط رغم شهرته وكثرة تداوله، صعب الاستعمال، نظرا لترتيبه المبنى على القافية، وأن الترتيب حسب أوائل الأصول أيسر.[59] لذلك راعى هذا الترتيب معتبرا أوائل الألفاظ فثوانيها.... إلى آخره و حسب النظام الألفبائي. وهو يقول في خاتمة

الكتاب كما نقله إميل يعقوب "إذا شئت كشف كلمة فإن كانت مجردة فاطلبها في باب الحرف الأول منها وإن كانت فيها زيادة فجردها أولا من الزوائد ثم اطلبها في باب الحرف الأول مما بقي، وإن كان فيها حرف مقلوب عن آخر فاطلبها في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه. وكل ذلك سهلة الاستعمال والممارسة".[60]

كان لمعجم "محيط المحيط" أثر مهم في مسيرة تطور المعجم العربي في مساهمته في تثبيت النظام الألفبائي الذي يراعي أوائل جذور المفردات. وقد تأثر به كل من المعاجم التي سبق ذكرها في هذه المدرسة، سواء في النهج أم في شرح المواد.

٢- معجم "المنجد"

ألّفه لويس بن نقولا ضاهر المعلوف (١٨٦٧-١٩٤٦م) أجد الأباء اليسوعيين. ولد في زحلة (بلبان)، تعلم في الكلية اليسوعية ببيروت. درس الفلسفة في انجلتره، واللاهوت في فرنسا، وأجاد عدة لغات عدة لغات شرقية وغربية.[61]

ومما يجدر بالملاحظة أن هذا المعجم هو أكثر المعاجم العربية طباعة حتى الآن، إذ طبع أربعا وعشرين طبعة. وزوّد المؤلف كتابه بقائمة الاصطلاحات المستعملة فيه، وبعض الأحكام القياسية، وستا وثلاثين لوحة ملونة تتضمن رسوم الحيوانات، والسفن، والأسلحة ووسائل المواصلات، والآلات الموسيقية وغيرها، وملحقا لطائفة من المفردات التي لم ترد في المتن، و ملحقا آخر في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب بالإضافة إلى القسم المخصص للأعلام. أما أهم سماته فتتخلص بما يلي:[62]

١. رتب الكلمات حسب أصولها وفق النظام الألفبائي، ثم قسم كل مادة إلى فصائل مختلفة وفقا لمعانيها مستخدما الترقيم في إيراد هذه المعاني.

٢. وضع الفعل المضاعف الثلاثي في أول المادة. فالفعل "مدّ" مثلا نجده في المادة (م د) كما رد كل كلمة إلى أصل ثلاثي.

٣. استعمل المؤلف أكثر من ثلاثين اصطلاحا للدلالة على اسم الفاعل (فا) واسم المفعول (مفع)، والجمع (ج) وجمع الجمع (جج) والمصدر (مص) والمؤنث (م)، والمثنى (مث).

٤. حذف الشواهد والروايات والنوادر وما إليها، واهتم بالترتيب و الشكل والإخراج. فحاكى أحدث المعاجم الأوروبية فنا في هذا المجال، كما أكثر من الصور الموضحة. وكان ذلك للمرة الأولى في تاريخ المعاجم العربية.

يعتبر "المنجد" اليوم أكثر المعاجم العربية شهرة، وأوسعها انتشارا، ويكتفي أن نتذكر عدد طبعاته الأربع والعشرين المطبوعة حتى الآن، لنقدر إقبال الناس عليه في الدول العربية كافة.

٣- المعجم الوسيط

ألّفه مجمع اللغة العربية في القاهرة، وهو مجمع لغوي أنشأه فؤاد الأول (١٨٦٨-١٩٣٦م) ملك مصر في السنة ١٩٣٢م. وغايته الحفاظ على سلامة اللغة العربية، ووضع معجم تاريخي لها، وتنظيم دراسة لهجاتها وبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية.[63]

في السنة ١٩٣٦م طلبت وزارة المعارف المصرية إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة وضع معجم عربي وفق ما توصل إليه التأليف المعجمي الحديث، فألف المجمع لجنة لهذا الخصوص، لكن العمل لم ينتظم في وضع المعجم المطلوب إلا في السنة ١٩٤٠م. وسار بين البطيء والاسراع، حتى ظهر المعجم في السنة ١٩٦٠ في جزأين كبيرين يحتويان نحو ١١٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة، ويشتملان على نحو ٣٠ ألف مادة ومليون كلمة وستمائة صورة، وتحت اسم "المعجم الوسيط" تمييزا له من المعاجم الصغيرة والكبيرة.[64]

وأمّا أهم سمات "المعجم الوسيط" فهو كما يلي:[65]

١- رتب الكلمات حسب أوائل أصولها وفق النظام الألفبائى، واهتم بتبويب عناصر المادة الواحدة. فقدم الأفعال على الأسماء والمجرد على المزيد من الأفعال، والمعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على المجازي والفعل اللازم على المتعدي كما رتب الأفعال المزيدة ترتيبا هجائيا حسب عدد الأحرف المزادة فيها.

٢- أدخل في متنه كثيرا من الألفاظ المولدة (نحو الطراز، الطفل، السبورة)، والمعربة (نحو السندس، الطست، الطنجرة) والمحدثة (المجتمع، الجامعة، الركن) وطائفة من المصطلحات العملية الشائعة بين عربية ومعربة، أقرها المجمع فأصبحت جزءا من اللغة.

٣- استعان بالتصوير لتوضيح بعض الحسيات، وكان ذلك للمرة الثانية في تاريخ المعجم العربي بعد "المنجد".

ولو كان أريد لهذا المعجم من أن يكون لغويا، فإنه أخذ طابعا علميا في تعريف كثير من المصطلحات وأسماء الأعيان، مما يجعله محاولة لها قيمتها من أجل صنع المعجم العربي في هذا العصر، ويعطيه رجحانا على غيره من المعاجم الحديثة التأليف.[66] لذلك أقبل الناس على اقتنائه واستخدامه كما أصبح موضوعا للدراسات اللغوية الحديثة.[67]

الخاتمة

بعد أن اطلعنا نشأة المعاجم العربية ومدارسها، مع عرض أهم المعاجم اللغوية العربية مع أبرز سماتها. وبعد أن وصلت حركة التأليف المعجمي إلى معجم "الوسيط" لمجمع اللغة العربية فيمكن لنا أن نستنتج أن المعاجم القديمة فلا شك في أنها غزيرة المادة وافرة المعلومات عموما تؤذن باطلاع واسع وجهد عظيم، كما أن

لها قيمتها التاريخية الكبرى إذ حفظت لنا مادة اللغة كما حفظت معها ثروة أدبية وفكرية كبرى، موضحة معظم الشواهد الغامضة والألفاظ والعبارات الغريبة.

وبالرغم من الجهود الكبير الذي بذله اللغويون العرب في تأليف معاجمهم فإن الكمال لم يتحقق لهذه المعاجم. فهذه المعاجم لا يخلو من العيوب، فمن عيوب التي وجهت إليها صعوبة البحث عن المفردات فيها، وفي الصوتية منها بشكل خاص. فالاهتداء إلى اللفظ المراد شرحه عسير، ويتطلب وقتا طويلا بسبب الترتيب وفق المخارج والأبنية والتقاليب. فمن المفروض بالذي يبحث عن معنى كلمة في هذه المعاجم أن يجيد المهارات الأربع وهي (١) تجريد الكلمة من حروف الزوائد (٢) إرجاع الحروف اللينة إلى أصلها (٣) إعادة الحروف المحذوفة (٤) تحديد مدخل الكلمة.

الهوامش:

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، ص. ٣٨٦

[٢] حسين نصار، **المعجم العربي نشأته وتطوره**، دار مصر للطباعة القاهرة، ١٩٨٨، الجزء الأول، ص. ٨

[٣] ابن منظور، **المرجع السابق**، ص. ٣٨٩

[٤] إميل يعقوب، **المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥ ، ص. ٩٠

[٥] أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨، ص. ١١٩

[٦] **نفس المرجع.**

[٧] **نفس المرجع**، ص. ١٢٠

[٨] المعاجم الثنائية اللغة هي معاجم الترجمة وهي التي تجمع ألفاظ لغة أجنبية لتشرحها واحدا واحدا، وذلك بوضع – أمام كل لفظ أجنبي- ما يعادله في المعنى من ألفاظ اللغة القومية وتعابيرها. أنظر: علي القاسمي، **علم اللغة وصناعة المعجم**، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩١، ص : ٦٦. وانظر : إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ١٥

[٩] محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص. ٢٢٢

[١٠] **نفس المرجع**، ص. ٢٢٣

[١١] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٢٥

[١٢] **نفس المرجع**، ص. ٢٦

[١٣] **نفس المرجع**

[١٤] محمد حسين آل ياسين، **المرجع السابق**، ص. ٢٢٣

[١٥] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص : ٢٦-٢٧. وانظر: حسين نصار، **المرجع السابق**، ص. ٢٦-٢٨

[١٦] ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر، بيروت، دت، ص. ٥٤٨

[١٧] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٢٧

[١٨] حسين نصار، **المرجع السابق**، ص. ٢٨

[١٩] أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٥ م، ص. ٢٦٣- ٢٦٦

[٢٠] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٢٩

[٢١] محمد أحمد أبو الفرج، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦، ص. ٢٥-٢٦

[٢٢] حسين نصار، **المرجع السابق**، ص. ٣٦٥

[٢٣] **نفس المرجع**

[٢٤] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٤٥

[٢٥] أحمد مختار عمر، **المرجع السابق**، ص. ١٢٢-١٢٣

[٢٦] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٤٦

[٢٧] حسين نصار، **المرجع السابق**، ص. ٢٤٥

[٢٨] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٦٢-٦٤

[٢٩] **نفس المرجع**

[٣٠] **نفس المرجع**، ص. ٥٧

[٣١] أحمد مختار عمر، **المرجع السابق**، ص. ١٣٦

[٣٢] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٥٨

[٣٣] أحمد مختار عمر، **المرجع السابق**، نفس المكان.

[٣٤] أنظر: حسين نصار، **المرجع السابق**، الجزء الثاني، ص. ٣١٦

[٣٥] أنظر: أحمد مختار عمر، **المرجع السابق**، ص. ١٣٧-١٤٦

[٣٦] حسين نصار، **المرجع السابق**، نفس المكان.

[٣٧] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٧٨

[٣٨] أحمد مختار عمر، **المرجع السابق**، ص. ١٣٩-١٤٠

[٣٩] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٨٥

[٤٠] حسين نصار، **المرجع السابق**، ص. ٣٤١

[٤١] إميل يعقوب، **المرجع السابق**، ص. ٨٧-٨٨

[٤٢] حسين نصار، **المرجع السابق**، ص. ٦٥٦

[٤٣] **نفس المرجع**.

[٤٤] نفس المرجع.

[٤٥] إميل يعقوب، المرجع السابق، ص. ١٠٤

[٤٦] حسين نصار، المرجع السابق، ص. ٤٥

[٤٧] إميل يعقوب، المرجع السابق، ص. ١٠٥

[٤٨] نفس المرجع، ص. ١٠٦-١٠٧

[٤٩] أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص. ١٦٣

[٥٠] نفس المرجع.

[٥١] نفس المرجع.

[٥٢] إميل يعقوب، المرجع السابق، ص. ١١٤

[٥٣] حسين نصار، المرجع السابق، ص. ٥٤٠

[٥٤] أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص. ١٦٥

[٥٥] إميل يعقوب، المرجع السابق، ص. ١٢٠

[٥٦] نفس المرجع

[٥٧] نفس المرجع، ص. ١٣٧

[٥٨] نفس المرجع

[٥٩] نفس المرجع، ص. ١٣٨

[٦٠] نفس المرجع، ص. ١٣٩-١٤٠

[٦١] نفس المرجع، ص. ١٤٣

[٦٢] نفس المرجع، ص. ١٤٥-١٤٦

[٦٣] نفس المرجع، ص. ١٤٩

[٦٤] **نفس المرجع**، ص. ١٥٠

[٦٥] **نفس المرجع**.

[٦٦] **نفس المرجع**، ص. ١٥٣

[٦٧] من الذين درسوه في ضوء دراسات علم اللغة الحديث محمد أحمد أبو الفرج، انظر كتابه: **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، المرجع السابق، ص. ٥٦-٥٧

المراجع

ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء الثاني عشر، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠ م.

ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر، بيروت، دت.

أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨م.

أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

إميل يعقوب، **المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥ م.

حسين نصار، **المعجم العربي نشأته و تطوره**، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٨م.

علي القاسمي، **علم اللغة وصناعة المعجم**، جامعة الملك سعود الرياض، ١٩٩١م.

محمـــد أحمـــد أبو الفرج، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.

محمـــد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.

Nana Jumhana adalah dosen pada jurusan Tarbiyah STAIN "SMHB" Serang